خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/٢/٦

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

كما قال الله سبحانه وتعالى إن لنا في رسول الله ﷺ أسوةٌ حسنة في كل معاملة، فقد تناولتُ في الخطب الماضية حبَّ النبي ﷺ لله سبحانه وتعالى وفي هذا السياق جاء ذكر عبادته أيضا، وكنت أفكر أني سوف أتناول بعد حب الله موضوع عبادته ﷺ لكنني حين بدأت بيان حبه لله سبحانه وتعالى تطرقت إلى بيان عدة أمثلة لعبادته أيضا، إذ لم أستطع رغم حرصي أن أفصل بين هذين الموضوعين، فهما متلازمان، إذ لا تصدر عبادة الله من دون حبه سبحانه وتعالى كما لا يكون الحب له سبحانه وتعالى دون عبادته سبحانه وتعالى، فلا يقدر المرء على عبادة الله سبحانه وتعالى في الحقيقة إن لم يكن يحبه. باختصار ما سأقوله اليوم قد اخترته من منطلق العبادة لكن نهايته كما قلت في الخطبة الماضية حب الله، إن معيار حبه ﷺ لربه سبحانه وتعالى كما بينه الله تعالى في القرآن الكريم قد وضحتُه سابقا من منطلق آية من القرآن حيث قال الله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٣) فقد وضحت هذه الآية كما قلت سابقا في الخطب الماضية فلا داعي للتكرار.

ثم إن الله سبحانه وتعالى أمره ﷺ بأن يقول: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣٢) فبذلك وجَّهَنا أيضا إلى نيل هذه المعايير، فقد قال الله سبحانه وتعالى للنبي ﷺ أَخبِر الناس أنكم إذا اتبعتموني فسوف يحببكم الله، وستنالون حبه. فبأمره ﷺ بهذا الإعلان قد أرشدَنا الله سبحانه وتعالى نحن أيضا لإحراز هذه المعايير، وبذل المساعي الحقيقية من أجل ذلك. فقد أمرَنا الله بالعبادة في عدة آيات القرآن الكريم، ومنها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٧). فهنا وضح أنكم إذا كنتم تريدون اتباعي فاسمعوا أنني كما أحرزت إدراك الغاية من خلق الإنسان، أحرزوا هذا الإدراك أنتم أيضا، واسعوا لأداء حقه، عندها ستحققونها، وعندها ستنالون حب الله سبحانه وتعالى.

ثم قال الله سبحانه وتعالى في آية أخرى لافتا الانتباه إلى العبادة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج: ٧٨) فحين بلَّغَنا رسولُ الله ﷺ هذه الأحكام، فقد أرانا منتهاها

أيضا بعمله، ثم نصحَنا أنه لن يتحقق الاتباع الحقيقي والطاعة ما لم تبذلوا الجهود للارتقاء إلى هذا المعيار. عندما سنسعى للعمل واضعين في الحسبان أسوته ﷺ وأوامره فستشملنا دعواته التي رفعها لأمته وستنفعنا، إذ الفيض لا يُنال بالأقوال فقط وبالرياء. باختصار قدمتُ لكم عدة أمثلة من أسوته، واليوم أقدم مزيدا منها.

لم يكن حضرته ﷺ يفوّت أي فرصة لعبادة الله ﷻ بل كان يعبده حتى في النوم، كما قد قال بنفسه: إن عيني تنام لكن قلبي لا يتغافل عن ذكر الله وعبادته، فنصح بذلك المؤمنين به أيضا، أنه يجب أن يشغل اللهُ ﷻ بالهم دوما. فكان يحاسب نفسه بخصوص العبادة بدقة. فعن ذلك هناك رواية عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فِي خَمِيصَةٍ[1] لَهَا أَعْلاَمٌ، فَنَظَرَ إِلَى أَعْلاَمِهَا نَظْرَةً، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: "اذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ وَأْتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةِ[2] أَبِي جَهْمٍ، فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفًا عَنْ صَلاَتِي". أي وقع نظره عليها عابرا ولم يرض أن ينظر إليها وتلفته عن الله.. وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى عَلَمِهَا، وَأَنَا فِي الصَّلَاة فَأَخَافُ أَنْ تَفْتِنَنِي". (صحيح البخاري كتاب الصلاة)

يقول سيد زين العابدين ولي الله شاه في شرح هذه الرواية: إن عنوان هذا الباب أن تكون الثياب بسيطة غير براقة حتى لا تلهي. فالإنسان مع ارتقائه الفكري يميل بالطبع إلى البساطة، ونلاحظ في العصر الحاضر أيضا أن سليمي الذوق يفضلون اللون البسيط عند اختيار الثياب، وهناك البعض اليوم أيضا من يظلون ينظرون إلى الثياب، ويتفحصون ثيابهم في الصلاة، لكنه يجب أن يكون اهتمامهم منصبا على الصلاة لا على الثياب. ويتابع حضرته ويقول: ثمة حاجة للاستغراق التام في الصلاة، أي لا تعدّ الصلاة حقيقية ما لم ينهمك المرء فيها منقطعا إليها تماما. لذلك قد كره شارع الإسلام كل ما يجذب اهتمام المصلي في ما حوله، ومن هنا يتبين بأي تركيز كان ﷺ يريد أن يعبد الله تعالى، حيث كره وقوع نظرة عابرة على شيء يلهيه عن الله تعالى.

فقد ورد في شتى الأحاديث أنه يجب أن لا يكون أمام المصلي صورٌ، أو قماش عليه رسوم، ويجب أن لا يكون أمامه حجاب عليه رسوم، لأن كل هذه الأشياء يمكن أن تلهيه عن الصلاة، ولذلك قد مُنع عنها. فأثناء الصلاة يجب أن لا يكون أمام المصلي ستار أو صور يمكن أن تلهيه عن الصلاة، أي يجب ألا تكون مثل هذه الأشياء تجاه القبلة.

كذلك ورد في الروايات عن مستواه العالي ﷺ في البساطة، فقد روى جعفر بن محمد عن أبيه، قال: سُئِلَتْ عَائِشَةُ: مَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِكِ؟ قَالَتْ: مِنْ أَدَمٍ[3]، حَشْوُهُ مِنْ لِيفٍ. (شمائل

---

[1] الخميصة : كساء أسود مربع له علمان فى طرفيه من صوف وغيره

[2] الأنبجانية : كساء صوف ينسب إلى بلدة أنبجان

[3] الأدم : الجلد المدبوغ

الترمذي)

وَسُئِلَتْ حَفْصَةُ: مَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِكِ؟ قَالَتْ: مِسْحًا (أي كان مصنوعا من وبر حيواني ناعم.) نَثْنِيهِ ثِنْيَتَيْنِ، مما كان يصبح ناعما، فَيَنَامُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ قُلْتُ: لَوْ ثَنَيْتُهُ أَرْبَعَ ثِنْيَاتٍ لَكَانَ أَوْطَأَ لَهُ، فَثَنَيْنَاهُ لَهُ بِأَرْبَعِ ثِنْيَاتٍ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: "مَا فَرَشْتُمُونِي اللَّيْلَةَ؟" قَالَتْ: قُلْنَا: هُوَ فِرَاشُكَ إِلَّا أَنَّا ثَنَيْنَاهُ بِأَرْبَعِ ثِنْيَاتٍ، قُلْنَا: هُوَ أَوْطَأُ لَكَ. قَالَ: "رُدُّوهُ لِحَالِهِ الأُولَى؛ فَإِنَّهُ مَنَعَتْنِي وَطَاءَتُهُ صَلَاتِي اللَّيْلَةَ".

لم تكن نعومة الفراش لتكون عائقًا أمام عبادة النبي ﷺ، بل إنه لم يكن يرضى حتى بهذا القدر من الراحة؛ فمجرد شعوره بلين الفراش كان يراه سببًا قد يدعوه إلى الاستلقاء قليلًا والتقصير في القيام لعبادة الله تعالى، فعدَّ ذلك نوعًا من التساهل. هذا كان مستواه الأسمى.

وصفت أم المؤمنين السيدة سودة رضي الله تعالى عنها حال النبي ﷺ في عبادته فقالت: صليتُ مرة خلف النبي ﷺ فركع حتى أمسكت بأنفي. أي كان ركوعه طويلًا جدًّا حتى خشيت أن يسيل الدم من أنفي. وهذا الحال لا يكون إلا عن محبة عظيمة، بحيث لا يريد الإنسان أن يفارق باب المحبوب. في أي حالٍ كان، انغمس في حبه.

وكذلك ورد في رواية أخرى عن مستوى عبادته، يروي مطرف عن والده قال: رَأَيْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ. (سنن أبي داؤد، كتاب الصلاة) أيْ كان الصوت مثل صوت الرحى عندما تدور، أو صوت المطحنة عندما تعمل. وفي موضع آخر ورد أيضًا مثال غليان القدر. ثم جاء في رواية أخرى عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُوْلَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوْهُ، وَلَا يُشْرِكُوْا بِهِ شَيْئًا»، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوْا ذَلِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ». (صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ) أي أن الله تعالى لا يعذب عباده. فما أرسى النبي ﷺ معاييره فحسب، بل نصح أيضًا بتحقيق هذه المعايير قائلًا إنكم إذا فعلتم كذلك فستنالون محبة الله تعالى وستنجون من عقابه.

يقول المسيح الموعود عليه السلام في موضع في مدح النبي ﷺ:

"وكما كان النبي ﷺ مأمورا بنشر القرآن الكريم كذلك كان مأمورا بإقامة السنَّة أيضًا. فكما أن القرآن الكريم يقيني، كذلك السنّة المعمول بها والمتواترة أيضًا يقينية. (أي ما وصلنا بالتواتر ويؤكده العمل به

بالتسلسل) فقد أدّى النبي ﷺ هاتين الخدمتين بنفسه وعدّهما واجبتين عليه. فمثلا عندما نزل الحكم بالصلاة شرح ﷺ حكم الله تعالى هذا بفعله، فكشف أن لصلاة الفجر كذا ركعة ولصلاة المغرب كذا ولبقية الصلوات كذا من الركعات. كذلك برهن على الحج بصورة عملية، ثم ألزم آلاف الصحابة بهذه الطريقة، وأقام سلسلة تواتر العمل بكل قوة وشدة. (أي عمل بنفسه وجعل الآخرين يعملون العمل نفسه) فالنموذج العملي الذي لا يزال مشهودا ومحسوسا في الأمة بتواتر العمل هو السنة. ولكنه ﷺ لم يُمْلِ الأحاديث أمامه ولم يهتم بجمعها". (التعليق على المناظرة بين البطالوي والشكرالوي)

باختصار، يبين حضرة عليه السلام الفرق بين السنة والحديث. فقال إن السنة لها الأولوية وتأتي مرتبة الحديث بعدها، والحديث الذي لا يتعارض مع القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ هو الحديث الصحيح. فحيث مدح عليه السلام النبيَّ ﷺ وذكر معايير عبادته، كذلك بين عليه السلام أن النبي ﷺ أرى نموذجه العملي ودعا أتباعه إلى الاقتداء به، بل جعلهم يعملون به. فهذه هي السنة التي انتقلت إلينا عبر الأجيال حتى يومنا هذا، وما وصل إلينا من نماذج الصحابة الكرام إنما هو ثمرة تربية رسول الله ﷺ لهم. إذ ربّاهم تربية ارتقت بعباداتهم أكثر فأكثر، وسمت بمعايير حبهم لله تعالى. هذه هي الأسوة الحسنة التي أقامها النبي ﷺ والتي سار عليها صحابته، والتي أُمرنا نحن أيضًا باقتدائها.

حثّ رسول الله ﷺ كثيرًا على صلاة التهجد، وأكد على أدائها. قد كتب المصلح الموعود رضي الله عنه في تفسيره في موضع أن رسول الله ﷺ كان يولي هذه النوافل اهتماما بالغا حتى إنه مع كونها نافلةً لكنه كان يطوف ليلًا ليتفقد مَن من الصحابة يصلي هذه النافلة. أيْ كان يطوف في أزقة المدينة وشوارعها فيعرف من خلال الصوت، مَن قام للتهجد ومَن لم يقم، أي أنه ﷺ لم يكن يكتفي بالحث عليها قولا بل كان يتفقد أيضًا مَن يصلي التهجد ومَن لا يصليه. أما اليوم فإذا سُئل أحد عن الصلوات المفروضة أو قيل له إنه ينبغي أداء الصلوات في المسجد. وقيل له:

كم صلاة تصلّيها في المسجد؟ اعترض وقال: هذا أمر خاص بي، من أنتم لتسألوا؟ وما حاجة الجماعة إلى هذا السؤال؟ هذا الأمر بيننا وبين الله تعالى. بينما كان النبي ﷺ يتفقد صلاة التهجد. (أي كان يتفقد الصحابة ليعلم من يقوم بها ليلًا).

رُوي أن بعض الصحابة أثنوا في مجلس رسول الله ﷺ على بعض مزايا عبد الله بن عمر رضي الله عنه، فقال لهم النبي ﷺ: "إِنَّ عَبْدَ اللهِ رَجُلٌ صَالِحٌ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِن اللَّيْلِ". (البخاري، كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل) كان عبد الله بن عمر رضي الله عنه عندئذ في ريعان شبابه وكان يتكاسل في أداء صلاة التهجد لذلك لفت النبي ﷺ انتباهه إليها. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أيضا: "رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ. وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ".

لاحظوا أن النبي ﷺ قد أوجب على المرأة احترام زوجها من ناحية، ومن ناحية ثانية سمح لها أن ترش على وجهه ماءً إذا لزم الأمر لإيقاظه لصلاة التهجد. فإلى هذا الحد كان النبي ﷺ يرى صلاة التهجد ضرورية. لقد ورد في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أي إن النهوض ليلا يقوّم النفس. لذلك كان النبي ﷺ ينصح الصحابة بأداء صلاة التهجد ولو ركعتين. إضافة إلى ذلك ورد في الأحاديث أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا في الهزيع الأخير من الليل، ويستجيب الدعوات كثيرا. إذن، إن صلاة التهجد ضرورية ونافعة جدًّا. مما لا شك فيه أن النجاة تتسنى بفضل الله تعالى فقط ولا يمكن لأحد أن يدّعي أنه سينالها نتيجة أعماله، فإن محمدا ﷺ كان أكثر الناس عملا وأكثرهم طاعة لله تعالى ومع ذلك ما كان يعتمد على أعماله كما ورد في الحديث. وقد قلتُ في الخطبة الماضية إن النبي ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها وللصحابة الآخرين أيضا عندما سألوه: هل ستدخل الجنة بأعمالك؟ فقال: لا يا عائشة! أنا أيضا سأدخلها بفضل الله فقط. فإذا كان إنسان مثل محمد ﷺ الذي كان كل نفَس من أنفاسه، وكل حركة من حركاته عبادة، والذي كان نومه ويقظته عبادة، وكل حركة وسكون له كانت عبادة، حتى أن قضاءه حاجته ومعاشرته زوجاته أيضا كانت عبادة. فما دام هذا الإنسان العابد العظيم يقول إنني لن أدخل الجنة بأعمالي بل بفضل الله، فمَن غيره يستطيع أن يقول إنه سيدخل الجنة بعمله؟ لا يخطرنّ ببال أحد: كيف أصبح كل فعل من أفعال الرسول ﷺ عبادة؟ فالمراد من ذلك أن الله تعالى قد أخبرنا أن كل حالته كانت عبادة. قد يقول عديم العلم: كيف أصبحت كل حركة من حركات النبي ﷺ عبادة؟ فيجب أن نتذكر أنه صحيح تماما أن كل فعل من أفعال محمد ﷺ كانت عبادة. وصحيح أيضا أنه لا يمكن أن يكون كل فعل من أفعال أيّ شخص غيره عبادة. فهو ﷺ أسوة حسنة، لذلك كان كل فعله ﷺ من أجل رضا الله، وكل عمل يُكسَب لرضا الله يصبح عبادة. أما غيره ﷺ فلا تصبح كل أفعاله عبادة.

فقد قال الله تعالى بحق النبي ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي كل فعل من أفعال رسول الله ﷺ قدوة لكم. ألا يعني ذلك أن يؤكد الرسول الكريم ﷺ بعمله أيّ فعل جائز وأيُّه غير جائز، وما هو مستحسن وما هو مكروه، وأيّ عمل حلال وأيه حرام؟ فكل عمل من أعمال النبي ﷺ بمنزلة بيان ووصف. فمثلاً صلاته لم تكن امتثالاً لأمر من أوامر الله فقط بل كانت بيانا أن هذه هي الفرائض وهذه هي السنن وهذه هي النوافل بالإضافة إلى الفرائض التي أداؤها ضروري للتقرب إلى الله. وكذلك أكله ﷺ الطعام كان إعلانا أن ما يأكله ﷺ حلال، وما لا يأكله غير صالح للأكل. فلما جُعل كل فعل من أفعاله ﷺ قدوة للناس، فإن الأشياء التي بيّن جوازها واستعملها كان فعله هذا عبادة، وكذلك ما نهى عنه ولم يستعمله كان أيضا عبادة.

باختصار، كان كل فعل من أفعاله ﷺ عبادة لأنها كانت نتيجة أمر الله تعالى. ومثال ذلك أن شخصا سأله ﷺ عن وقت صلاة العصر. من الواضح أن الصلاة في أول الوقت مستحبة، لكن النبي ﷺ أخّرها

أيضا أحيانا حتى ضاق الوقت جدا. وتأخيره هذا في الصلاة كان أيضا عبادة. لماذا؟ لأنه ﷺ كان يُعلّم درسا أنه إذا لم يستطع الإنسان أن يصلي في أول الوقت لسبب ما، وصلّى في آخر الوقت فستُقبل صلاته. باختصار، فقد أعلن بشأن الفرائض وبشأن الواجبات وبشأن النوافل والسنن أيضا أن كل هذا عبادة لله. وفي هذه الحالة أيضا يقول ﷺ إنه سيدخل الجنة بفضل الله فقط. لقد قال الله تعالى له ﷺ إن كل فعل من أفعالك عبادة، ومع ذلك قال ﷺ: إنني سأدخل الجنة بفضل الله فقط. فكيف يمكننا نحن الذين أعمالنا قليلة جدا أن نقول إننا سندخل الجنة بأعمالنا؟

من هذا يتضح مدى ضرورة فضل الله تعالى وأهميته. إن نوال فضل الله ضروري جدا ولكنه لا يُنال بمجرد الادعاء باللسان. إن الادعاء بالإيمان وحده لا ينفع، بل الحصول عليه يقتضي شيئا، وذلك الشيء هو العمل. أي العمل بسنة النبي ﷺ والسعي للتأسي بأسوته ﷺ، والسعي لرفع مستوى العبادات، والسعي لنيل حب الله تعالى. لذلك قلت في البداية أيضا إنه لا عبادة من دون حب الله ولا معنى لحب الله من دون العبادة.

لقد بيّن سيدنا المصلح الموعود ﷺ في تفسيره كيفية دعاء الرسول الكريم ﷺ، سأذكر ذلك بكلماتي أيضا ولكنه مأخوذ من المصدر نفسه فإن هناك كثيرين يدعون لكن أعينهم وقلوبهم وعقولهم وصدورهم لا تؤيد الدعاء. يدعون ولكن أعينهم وقلوبهم تكون في واد آخر وأذهانهم تتجول في مكان آخر، وليس في صدورهم الحب المطلوب أي لا يوجد لديهم حب لله تعالى كما ينبغي، فماذا تكون النتيجة إذن؟ ستكون النتيجة أنه مادامت هذه الأشياء لا تتماشى مع الدعاء ولا تؤيده، فيكون ذلك الدعاء دعاء ظاهريا فقط، فلا تدمع أعينهم ولا تذوب قلوبهم.

عند الدعاء ينبغي أن تدمع العيون، وأن يذوب القلب، وأن يتوجه الذهن نحو الله تعالى بتركيز. فحين لا يغلي صدره حماسًا في الدعاء فستكون النتيجة أن دعاءه يطير في الهواء كالغبار دونما جدوى. من ذا الذي كان أعلى مقامًا من النبي ﷺ، ومع ذلك قد ورد أنه في بعض الأحيان كان يصدر منه خلال دعائه صوت كصوت غليان القِدر، وكان يبكي حتى تخضل لحيته. ولكن هناك كثيرون يتصرفون بالكبر أمام الله تعالى بسبب عاداتهم، فلا يحبّون البكاء في الدعاء. الرقة في الصلوات ضرورية جدا، ويجب أن يسعى المرء لذلك، وقد وصف المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام لذلك وصفةً، وهي أن يتباكى المصلي ويجعل صورته كالباكي، فحالته الظاهرة هذه ستؤثر على قلبه أيضا، وسيبدأ بالبكاء.

فقد أخبرنا النبي ﷺ أن هذا هو مستوى عباداتي، وإني شاكر لله تعالى، وبفضل الله سأنال النجاة، ولكي يشملني فضل الله فإني أعبد الله وأشكره على نعمه أيضا، لأن الله غني، فلا أدري كيف يعاملني الله تعالى إن لم أشكره.

فما دام النبي ﷺ الذي هو سيد الصالحين لم يكن في غنى عن العمل، فكيف يستغني الآخرون عن العمل، وكيف يحق لهم أن يقولوا لقد أصبحنا في غنى عن العمل، ولا حاجة بنا للأعمال، لأن الله تعالى قد غفر لنا. هذا قول الكافرين وليس قول المؤمنين.

إن ذِكر الله أيضا من سنة رسول الله ﷺ وكان يذكر الله كثيرا. لقد قال حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه في إحدى خطباته بهذا الشأن:

ومن الأذكار ما يقوم به المرء قبل النوم. كان النبي ﷺ يقرأ قبل نومه آيةَ الكرسي وسورة الإخلاص والمعوذتين ثلاث مرات، ثم ينفث في يديه ويمسح بهما جسده. كان ينفخ في يديه ثم يبدأ مسح جسده من رأسه إلى حيث وصلت يداه.

إن العمل الذي بدأه النبي ﷺ باعتباره أمرًا من الدين ثم داوم عليه يسمى السُنَّة. ولما كان النبي ﷺ يقوم بهذا الذكر دائما، أعني قراءة آية الكرسي وسورة الإخلاص والمعوذتين قبل النوم ليلا، فمن واجب كل مسلم أن يداوم على العمل بهذه السنة، بل يجب أن يجعله جزءًا لا يتجزأ عن حياته.

فلا ينبغي للمرء تركُ الذكر باعتباره مجرد ذكر وليس ضروريا بحيث إذا لم يقم به لن يدخل جهنم، كما يجب ألا يظن أن هذا الذكر وحده يكفي لدخوله الجنة ولا حاجة به إلى القيام بأعمال أخرى. كلا، بل لا بد للمرء من أن يكمل الفرائض أيضا. يكتب لي البعض في رسائلهم: أَخْبِرْنِي بدعاء قصير، أو دُلَّني على ذكرٍ، لأقوم به، لكي أتحلى بالحسنات، وأتخلص من ذنوبي، وتتم أعمالي ومراداتي، وأنال قرب الله أيضا.

إن أول شيء هو العبادة، أي الصلوات التي هي فرض، وقد أدى النبي ﷺ بعد الفرائض النوافلَ أيضا. فأولاً هناك حاجة لأن يبلغ المرء في الصلوات المستوى الضروري المطلوب للحضور أمام الله تعالى. ثم بعدها النوافل، ثم ذكر الله. إن الذكر يوجه الإنسان إلى مزيد من الحسنات. ولكن لا بد أيضا من القيام بغيرها من الأعمال والتحلي بالأخلاق. على المرء حُسن الأخلاق أيضا. فلا بد للفوز بقرب الله وحل المشاكل واستجابة الدعاء من العمل بكل حكم من أحكام الله تعالى، ويجب أن يكون هذا العمل كما أرانا النبي ﷺ بأسوته. يجب السعي للعمل بالسنة النبوية الكاملة. باختصار، على المرء ألا يفكر أنه إذا ترك الذكر دخل النار، كما يجب ألا يفكر أيضا أن الذكر وحده سيدخله الجنة، أو يحل مشاكله كلها، كلا، بل لا بد من القيام بالأعمال وأداء الفرائض أيضا. ما دام النبي ﷺ كان يردد هذه الأذكار من أجل رقيه الروحاني، فكيف يحق لنا القول إننا لسنا بحاجة إلى هذه الأذكار.

كان من سنة النبي ﷺ أن يقرأ قبل نومه دائما آيةَ الكرسي وسورة الإخلاص والمعوذتين، ثم ينفث في يديه ويمسح بهما جسده، كما ذكرتُ آنفًا.

لقد نبه حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه إلى بعض الأمور الأخرى أيضا بإسهاب، فكتب في مكان: "إن الذين يكونون أئمة الدين يهتمّون كثيرا بأن يكونوا أكثرَ عبادةً وذكرًا من الآخرين. وهناك البعض ممن يكونون

زعماء الدين ويسمون علماء ومشايخ أو يكونون رؤساء التنظيمات الدينية، فيفكرون أن يكونوا أكثرَ عبادةً من الآخرين، ويفعلون ذلك رياءً وتكلفًا ليظن الناس أنهم من أهل الصلاح. حتى إن كبار السياسيين أيضا قد بدأوا يفعلون ذلك تكلفا، حيث يحملون في أيديهم سُبحات. إن بعض أئمة المساجد أو مسؤولي التنظيمات الدينية الذين يظنون أنهم قدوة للناس أو يريدون أن يُشعروهم أنهم قدوة لهم، فتراهم يعمدون إلى الرياء والتكلف، ويتظاهرون بالصلاح من خلال هذه الأعمال والتصرفات. وهذه التصرفات تصدر من المسلمين ومن زعماء غير المسلمين أيضا، كما توجد بعض من هذه التصرفات في تقاليد بعض القبائل أيضا.

إن هؤلاء المسلمين يتظاهرون بأعمالهم رياءً للناس بحيث إذا كانوا يتوضأون فإنهم يظلون يغسلون أعضاءهم لمدة طويلة على سبيل التكلف والرياء، حتى إن قطر الماء التي تتساقط أثناء الوضوء لا يدَعونها تقع على أجسادهم بحجة أن ذلك الماء نجس، كما يطيلون الركوع والسجود جدا، ويتظاهرون بوجوه في منتهى الخشوع والخضوع في الصلاة تكلفا ورياء. لو كانوا يفعلون ذلك ابتغاء حب الله فلا بأس، ولكنهم يراءون الناس. يُكثرون ترديد الأذكار وقراءة الأوراد أمام الناس حاملين السُبحات متظاهرين بأنهم يذكرون الله تعالى. أما النبي ﷺ فكان أتقى الناس وأكثرهم ورعا ومن المحال أن يوجد إنسان يساويه في خشية الله، ومع ذلك كان بسيطا في هذه الأمور كلها، وكانت حياته خالية من هذه التكلفات تماما. فعن أَبِي قَتَادَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ". فقد قال النبي ﷺ ببساطة متناهية إنه يسرع في الصلاة عند سماع صوت بكاء الطفل! أما صوفية اليوم فيعتبرون مثل هذا القول إهانة لهم، لأنهم يفتخرون بقولهم بأنهم يستغرقون في الصلاة حتى ينقطعون عما يدور حولهم، فلو ضربت الطبول بجانبهم لما شعروا. لكن النبي ﷺ كان بريئًا من مثل هذه التكلفات، لأن عظمته كانت من الله تعالى، لا من الناس. بل لم يكن النبي ﷺ يريد من الناس شيئًا، إنما كان يريد العظمة والرفعة من عند الله تعالى، فلذلك كان بريئًا من تلك الأمور الدنيوية. ولا يمكن أن يخطر ببال أحد مثل هذه الفكرة إلا من يعتبر الناس مانحي العزة والعظمة. ومثل هذا الرياء لا يمكن أن يصدر إلا ممن يعتبر الناس مصدر عزته. أما الذين يعتقدون أن الله تعالى هو مصدر العزة الحقيقية –وفق السنة التي أقامها النبي ﷺ وأظهرها بعمله– فلا يمكنهم أبدًا أن يخطر ببالهم مثل هذه الفكرة أبدًا. فإنهم يتحلون بالبساطة والتواضع، وهكذا ينبغي أن يكون الأمر.

لقد رُوي أن أنسًا ﷺ سُئل: أَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي نَعْلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. (فمن جهة هناك تأكيد على العبادات، وعلى السعي لبلوغ مستوياتها العالية، ولكن من جهة أخرى، حيثما تكون الحاجة إلى التيسير، فإن التيسير موجود أيضًا، كما ذكرتُ مثالَ وقت صلاة العصر، فلا بد من أن نضع كل الجوانب أمامنا، لكن الحقيقة الغالبة التي ينبغي أن نضعها بعين الاعتبار هي أن نجعل عبادة الله تعالى نصب أعيننا وحاضرة

في قلوبنا، ونجعل التركيز والاهتمام على نيل رضاه تعالى. على أية حال، سُئل أنس: أَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي نَعْلَيْهِ قَالَ نَعَمْ كان يصلي فيهما.)

يتضح من هذا الحادث كيف كان النبي ﷺ يتجنب التكلفات. أما اليوم فقد جاء زمان يثور فيه المسلمون – الذين هم أنفسهم جاهلون بالإيمان والإسلام وتعاليمه – إذا رأوا أحدهم يصلي منتعلاً، ولا يقبلون صلاته حتى تتوفر فيها جميع الشروط بحسب رأيهم. لكن هذا كان دأب النبي ﷺ الذي هو أسوتنا الحسنة، فلم يكن يراعي التكلفات بل كان ينظر إلى ما يقتضيه الواقع.. (إنهم على حالهم السالف حتى اليوم. فقد كتب إليّ أحد إخواننا الأحمديين وقال: إن أحد هؤلاء قال له: لماذا تقرأ الشهادتين؟ ولماذا تقول كذا وكذا؟ فقال له الأحمدي: ما دخلك بهذه الأمور؟ لأنك لا تصلي، ولا تعرف الصلاة، ولم تقرأ القرآن، فليس لك علم بهذه الأمور، فما علاقتك بها؟ فردّ عليه هذا الشخص: سواء علمتُ هذه الأمور أو لا، ينبغي لك ألا تصلي، بل يجب عليك ألا تعرفها لأنك أحمدي ومرزائي وقادياني. فهذه هي حال أولئك الذين يعدّون أنفسهم خصومنا غير أنه لا يقومون بأي عمل ديني يُذكر. على أية حال).. الطهارة والنظافة شرط لعبادة الله تعالى، وهذا ثابت من القرآن والسنة، فإذا كانت النعل نظيفة ولم تُلبس في الأماكن التي يحتمل أن تتلوث فيها بالنجاسة العامة، فلا حرج في الصلاة بها عند الحاجة. وقد منّ النبي ﷺ على الأمة المحمدية منّة عظيمة بفعله هذا، إذ أنقذهم من التكلفات والتصنع في المستقبل. ينبغي للناس الذين يتشاجرون اليوم في مثل هذه الأمور ويحبون التكلفات، أن يستفيدوا من هذه الأسوة الحسنة. وكل عمل لا يمس عظمة الله تعالى ولا ينقص من التقوى، فإن ممارسته لا تنقص من عزة الإنسان ولا تحطّ من درجته."

"ثم إن إقامة الصلاة ضرورية جدًا، ومن معاني "إقامة الصلاة" أداؤها مع الجماعة، وبإخلاص وخشوع وهدوء، ومع كل شروطها من وضوء وغيره، كما يعني حثّ الآخرين عليها. ورد في الحديث أن الصلاة وسيلة للقاء العبد بربه، وهذا يعني أن الله ﷻ يريد بالصلاة أن يصطبغ المؤمنون بصبغة الله ﷻ التي يبعث أنبياءه من أجلها، ومن خلال الصلاة يصطبغ المؤمنون بصبغته تعالى.

لقد كان النبي ﷺ شديد الاهتمام بأداء الصلاة جماعةً. فذات مرة جاءه شخص كفيف وقال: يا رسول الله، إن بيتي بعيد عن المسجد وأُعاني كثيرًا في الوصول إلى المسجد من أجل الصلاة، فاسمَحْ لي بأدائها في البيت في أيام المطر – علمًا أن البيوت في المدينة آنذاك كانت طينية، وكانت مياه الأمطار تتدفق في وسط شوارعها مما يدفع الناس إلى المشي بجوار الجدران، ولكن الناس كانوا يضعون أحجارًا مع قواعد الجدران الطينية لتحميها من المياه. وقال الصحابي الكفيف: لا أستطيع المشي في وسط الشارع بسبب تدفق المياه فيها، وإن مشيت ملتصقًا بجدران البيوت فلكوني لا أبصر أتعثر بتلك الأحجار، وهناك خطر أن أجرح أو أسقط، فهل لي أن أصلي في البيت؟ فقال النبي ﷺ: "حسنًا، صلِّ في بيتك، إذ لا حرج في ذلك ما

دمتَ تُعاني في طريقك إلى المسجد". فعاد الكفيف إلى بيته، ولكن النبي ﷺ أمر أصحابه أن يدعوه، فلما رجع قال له: "هل تسمع صوت الأذان في بيتك؟". قال: نعم. فقال النبي ﷺ: "ما دام صوت الأذان يصل إلى بيتك فعليك أن تصلي في المسجد، وإن تعثرت وجرحت في الطريق."

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"وها إني أقول مرة أخرى ستنبت أشجار حب الله تعالى في تلك الأرض وستنمو وتحمل ثمارًا حلوة وطيبة، وتكون مصداقا لقول الله تعالى ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ (الرعد: ٣٦). اعلموا أن هذا هو المقام الذي ينتهي إليه سلوك الصوفية. عندما يصل السالك إلى هذا المقام لا يرى إلا تجلي الله تعالى..."

يقول حضرته:

"إن إصلاح حالة التعبّد هو ما يسمَّى العبادة. (أي تلك الحالة التي يبقى الإنسان يتذكر الله فيها ويكون الله تعالى أمامه عندما يقوم بعبادته، فإن مثل هذه العبادة هي العبادة الحقيقية. قال حضرته:)

قال الله تعالى: ﴿إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ (هود: ٣). ولما كانت مهمة التعبد التام -أي العبادة الخالصة لله تعالى- هي مهمة عظيمة، ولا يسع الإنسان إنجاز هذه المهمة من دون أن يكون أمامه أسوة حسنة ونموذج كامل وتأثير كامل للقوة القدسية لإنسان آخر، فقال رسول الله ﷺ لقد جئتكم بشيرا ونذيرا من عند الله تعالى، فإن أطعتموني وآمنتم بي، فلكم البشارات العظيمة لأني بشير، أما إذا رفضتموني فاعلموا أنكم ستواجهون عقوبات كبرى وآلاما شديدة لأني قد جئتكم نذيرا أيضا."

فهذا هو الأمر الذي يجب علينا أن نتأمله. فحين آمنا بالنبي ﷺ، متبعين أسوته الحسنة، فقد آمنا به بشيرًا، ولا ننال تلك البشارات إلا إذا أدينا حق عبادتنا، وسعينا لتحقيق هذا المعيار أيضا اتباعًا للأسوة الحسنة للنبي ﷺ.

ومن المهم أن تتذكروا أن هذا السعي يتطلب التضحية والجهاد. فبعض الناس يقولون إنهم يحاولون أداء الصلوات الخمس إذا سُئلوا عن ذلك؛ وهذا في الحقيقة خداع للنفس. فلو كانت المحاولة حقيقية لكان هناك همٌّ بها. إذًا، نحن بحاجةٍ إلى أن يُجري كلُّ واحدٍ منا محاسبة لنفسه: هل جهودُنا هذه جهودٌ حقيقية أم لا؟

وقد قال المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام: "كيف كانت عبادة النبي ﷺ؟ كان يذهب إلى غار حراء، حيث كان هناك خطر الحيوانات البرية والثعابين والنمور وغيرها".

وقد ذُكر من قبل أنه كان هناك يدعو الله تعالى. وبعد ذكر هذا قال حضرته: "القانون السائد هو أنه عندما يزداد الجذب إلى ناحية يزول من القلب خوف الناحية الثانية. فعندما تعاظمت جاذبية محبة الله تعالى، وتوجَّه القلب إلى عبادته، زال خوف الأمور الدنيوية الأخرى".

وذكر حضرته مثالًا فقال: "لقد لوحظ في نساء يملكن طبيعة يسودها الخوف كثيرا أنهن يذهبن في ليال حالكة الظلام عند الضرورة- في مرض أولادهن مثلا- إلى مكان يتعذر عليهن الذهاب إليه حتى في النهار. ويقول: عندما تغلب خشية الله وحبه تزول المخاوف وكل أنواع الحب الأخرى. والعزلة أيضا ضرورية للدعاء من هذا النوع. وبهذه العلاقة الكاملة تظهر الأنوار، وكل علاقة تقتضي سترا، أي يكون تعلّقًا خفيًا، وحينئذٍ فقط يظهر".

ويقول: "يجب أن تكون العبادة لله تعالى وحده، لا للرياء".

إذا صبرتم على الطاعة والعبادة والخدمة فلن يضيعكم الله أبدا، فقد خلا في المسلمين ألوف عرفهم الناس بنورهم فقط، فليسوا بحاجة إلى الملابس الصفراء والطويلة والملابس المتميزة من نوع خاص، كما لم يلبس الصادقون والصلحاء مثل هذه الملابس والثياب قط، لم يكن للنبي أي لباس خاص من هذا النوع يتميز به عن الآخرين بل قد صافح شخص أبا بكر وبدأ يكرمه ويعظمه ظنا منه بأنه هو النبي ﷺ فقام أبو بكر وبدأ يحرك المروحة على النبي ﷺ وأخبر بفعله لا بقوله أنه هذا هو النبي ﷺ وهو خادم له، عندما يكون الإنسان عبدا لله فلا حاجة له لارتداء ثياب ملونة واتخاذ وضع خاص وتعليق القلادة وغير ذلك، أمثال هؤلاء هم كلاب الدنيا، فليس لعشاق الله – سبحانه وتعالى – فرصة للاهتمام باللباس والثياب، فهم يريدون الاختفاء عن أنظار الدنيا، غير أن الله يستخرج البعض بحكمته، لكي يثبت ألوهيته، فالنبي ﷺ لم يكن يتمنى قط أن يسميه الناس رسولا، ويطيعوه، ولذلك كان يعبد الله في غار كان أضيق من القبر، ولم يكن ينوي الخروج قط، لكن الله – سبحانه وتعالى – بحكمته أخرجه بنفسه، وبواسطته أظهر نوره على العالم.

نسألُ اللهَ تعالى أن يوفّقنا للاستفادة من هذا النور. وأن يوفّقنا لأداء حقِّ عبادته ، وأن يرزقنا التوفيق لاتباع أُسوته الحسنة، و للسير على هذه الأُسوة الحسنة، وأن يوفّقنا للاجتهاد في ذلك على الوجه الأكمل.

****